

الحراك النسوي على الجدار الافتراضي: في كيفية خلق فضاء يعادل البرديغم الذكوري

The feminist movement on the virtual wall: how to create a space equivalent to the masculine paradigm

رمزي فارح¹، سليم سهلي²

¹ مخبر التغيير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة بسكرة، الجزائر ramzi.farah@univ-biskra.dz

² جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر salim.sahli@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/28 تاريخ القبول: 2022/12/25 تاريخ النشر: 2022/12/31

Abstract

ملخص

The analysis and interpretation of the hypothetical mural discourse is due to research in the contexts and meanings to which the discourse belongs to, based on that, our study aimed to understand the context and meaning of feminist wall discourse which appeared in a new form on this space and he found in it what he did not find in the concrete wall of features that helped the woman to launch a movement that based on principles which its basis is an escape from the socio-cultural reality, it marginalizes women and puts men in a position of strength in front of women, therefore; the content of the feminist movement's discourse is represented in several points, the most important of them is the equality between men and women, body freedom, etc...

Keywords: Mobility, feminism, virtual wall, Space.

يعود تحليل وتأويل الخطاب الجداري الافتراضي إلى البحث في السياقات والمعاني التي يعود لها الخطاب، على هذا الأساس دراستنا تهدف إلى فهم سياق ومعنى الخطاب الجداري النسوي الذي ظهر بصيغة جديدة على هذا الفضاء ووجد فيه ما لم يجده في الجدار الإسمتي من مميزات ساعدت المرأة في إطلاق حركة تقوم على مبادئ أساسها الانفلات من واقع سوسيو-ثقافي يهشم المرأة ويضع الرجل في موقف قوة أمام المرأة، لذلك كان مضمون خطاب الحركة النسوية يتمثل في نقاط أهمها المساواة بين الرجل والمرأة، حرية الجسد وغيرها.

كلمات مفتاحية: حراك؛ نسوية؛ جدار افتراضي؛ فضاء.

1. مقدمة

يشهد القرن الواحد والعشرون عاصفة نشاط نسوي على فضاء الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي تعبر عن الأهمية القصوى التي باتت تحتلها الحركة النسوية المعاصر وفضاءاتها المستحدثة، ذلك أن ازدياد النسوية المعاصرة وضوحا خلق فضاءات جديدة رسمية وهامشية تعبر عن آراء، توجهات، مطالب وفلسفات الحركة، سيركز مقالنا التالي على الحراك النسوي من خلال الكتابات الجدارية الافتراضية، بمعنى العلاقة المتعلقة بالتفاعلات بين النسوية والفضاء الإلكتروني والذي يتلخص في محاولة المرأة الانفلات من الواقع السوسيو-الثقافي الذي يمجّد الرجل ويعطي السلطة للذكر (السلطة الذكورية) وبناء واقع يعطى المرأة حقوقها ويساويها بالرجل من جميع الجوانب، كل هذا عبرت عنه المرأة أو ما يدعى بالفيمينيست من خلال كتابات على الجدار الافتراضي كفضاء عام هامشي اعتمدته المرأة لسهولة الولوج له من جهة وللسلطة التي يمتلكها الجدار الافتراضي في التأثير على العامة من جهة أخرى.

انتعشت الحركة النسوية مع زيادة توسع الفضاء الإلكتروني وتكنولوجيا المعلومات، فالجدار الافتراضي يقدم إمكانات تتحدد في خلق تشكيلات اجتماعية وثقافية جديدة مع إعطاء طابع آخر لهذه الحركة النسوية ولعل أهم ما يميز الكتابة على الجدار الافتراضي هو الحرية التامة في التعبير مع الحفاظ على مجهولية الممارس، هذه المميزات دفعت بالمرأة (الفيمينيست) لإطلاق حركتهم من خلال هذا الجدار بعيدا عن الصورة النمطية للحركة النسوية الكلاسيكية.

2. الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة

1.2 أشكلة الموضوع:

لطالما شكلت الترتيبات والبنى المتناقضة التي أحدثتها التكنولوجيات الاتصالية على مختلف الحياة الاجتماعية، موضوعا مفتوحا على أفق التشابك والتعدد، إذ أن كل ثورة تقنية جديدة في وسائط الاتصال صاحبها أجيال جديدة من المتفائلين والمتشائمين، ومع كل ظهور وسيط اتصالي تتشكل خطابات رقمية متباينة، بعضها يحمل بناءات منهجية والبعض الآخر يكون ذو صبغة تبسيطية.

إن شبكات التواصل الاجتماعي التي تعد مخرجا من مخرجات النيو-تكنولوجيا، قد أصبحت تحتل حيزا متناميا في التضاريس الاجتماعية اليومية للأفراد، وغالبا ما شكل هذا الفضاء عاملا مولد للكثير من التناقضات الاتصالية، إضافة إلى مرونته التفاعلية والرمزية وقدرته على توفير ديناميات جديدة، والواقع أن الطابع المخصوص للتفاعل الافتراضي الذي توفره فضاءات شبكات التواصل الاجتماعي وبالأخص شبكة الفايبربوك خلق إمكانات لتشكيل فضاء ديمقراطي حراكي مجنس.

وتكتسي إشكالية بحثنا على مدى قدرة الجدار الافتراضي على تشكيل فضاء افتراضي حراكي نسوي ، خصوصا في ظل المجتمعات التقليدية ذات الفضاء العمومي الذكوري المغلق، أين تشكل شبكة الفايبروبوك للفئات النسوية لتشييد فضائها العمومي الحراكي الخاص بها خارج التشكيلات الأندرو- مركزية المبرمجة من طرف سلطة عليا (البطرياركية)، إذ ترتبط قضية حضور المرأة في الفضاء العمومي برهانات ثقافية ورمزية شديدة الحساسية، تحيل بشكل أساسي إلى الظرف الذي تعيشه المرأة كما أنها تعكس مسارات الحداثة والتحول داخل الفضاء المجتمعي (Benzerfa Juerroudj, 1992, P.136).

وبناء على ما تم طرحه فإن إشكالية بحثنا تتمثل فيم يلي:

كيف تساهم المجموعات الفيسبوكية النسائية في تشكل الحراك النسوي المضاد للبطريكية؟

2.2 المبررات المنهجية لاختيار الموضوع:

في سعينا لتحديد المبررات المنهجية لاختيار الموضوع، نتوقف عند الاختيار كمحطة ضرورية، قد نكون محقين عندما نقول أن الاختيار هو فعل وسيرورة تتماشى وقناعات الباحثين. تطغى لدينا فكرة الالتفاف بالمواضيع ووضوعها في شكل لائحة والتي يسميها بعض الأنثروبولوجيون بلائحة الموضوعات المستعجلة، ولا يهمننا ذلك القلق الذي نشعر به اتجاه موضوع واحد، فإذا طرحنا السؤال كيف نختار الموضوع الأنثروبولوجي وكيف نبرره منهجيا سرعان ما تأتي إجابات غير ممنهجة. ومن أهم المبررات الذاتية لتناول هذا الموضوع وفهم إشكالاته الحقائق المستمدة من الدراسات الغربية حول الحراك النسوي داخل الفضاء الافتراضي وعلاقته بالحراك النسوي أهمها دراسات " هابرماس"، حيث جاءت هذه الدراسات لمساءلة الفضاء العمومي التقليدي، الذي يعمل على ترسيخ الفوارق الجندرية بين الجنسين، أما المبرر الثاني والذي جعلنا نخوض في هذا الموضوع هو الأطر النظرية للفضاءات العمومية الهامشية التي تأثرت بالدراسات ما بعد الكولونيالية، والتي سعت إلى خلق مجال جديدة للمناقشة المضادة ونسف التمرکزات الغربية.

على غرار هذه الأسباب الذاتية هناك أسباب موضوعية تمثلت في ضرورة مراجعة وإعادة فحص مفهوم الفضاء العمومي وتقصيله الكلاسيكي في ظل معطيات الوسائط التكنولوجية الجديدة وخلق فضاء متكافئ.

3. أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في أنها تعالج أحد مواضيع النقاش الأكثر جدة وراهنية في أدبيات بحوث الاتصال، ألا وهو دور الوسائط الاتصالية الجديدة في تشكيل الحراك النسوي داخل الفضاء الافتراضي التي تنافي اللاتجانس، والذي يكتسب أهمية خاصة في ظل تشنج الفضاء العمومي التقليدي.

تقدم الدراسة رؤية منهجية ملائمة لمقاربة تشكل الفضاءات الهامشية النسوية داخل الفضاء السيبراني، إضافة إلى ذلك تتقاطع هذه الدراسة مع بعض الإشكاليات التي تعالجها الدراسات النسوية ودراسات النوع الاجتماعي، حيث تبحث هذه الحقول في شواغل الشرائح النسوية وخصوصيات وضعية المرأة وسبل التمكين الاجتماعي لها، كما تندرج الدراسة ضمن ما يعرف بالنسوية-الالكترونية، والتي تستحضر مقارنة النوع الاجتماعي في فهم علاقة الوسائط التواصلية الجديدة بالمرأة.

4. منهج الدراسة وأدواتها:

1.4 منهج الدراسة:

يرتبط اختيار المنهج العلمي بخصوصيات الإشكالية محل الدراسة ومساقاتها البحثية التي ترتبط معها، وكذا مجتمع البحث والأهداف المتوارة من الدراسة، وبما أننا بصدد جمع المعلومات والبيانات المنتسبات للمجموعات الفيسبوكية النسائية التي تنادي بالحركات ، فإن دراستنا تندرج ضمن البحوث الانثوغرافية باعتبارها ملائمة لمقاربة موضوعنا، حيث تقوم هذه الأخيرة على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والموضوع، والوصول إلى نتائج وتعميمات في فهم الواقع وتطويره (عليان و غنيم، 2008، صفحة 41)، وتهدف البحوث الانثوغرافية إلى عرض صورة دقيقة لملامح الظاهرة التي يهتم الباحث بدراستها حتى يتيسر إدراكها وفهمها فهما دقيقا، بتبيين العناصر التي تتكون منها، وارتباط بعضها ببعض ودور كل منها في أداء وظيفتها (مجدي ، 2000، صفحة 40).

الأدوات:

تتولى علينا طبيعة الدراسة وخصوصية مجتمع البحث الذي يوجد ضمن الفضاء السيبراني، استخدام الأدوات الأكثر فاعلية في جمع البيانات، وللضرورة الميثوتودولوجية تم الاستعانة بأداة المقابلة الافتراضية.

2.4 المقابلة الافتراضية:

كما قلنا سابقا لجأنا إلى المقابلة الافتراضية كأداة أساسية في هذا البحث، حيث اعتمدنا على أداة المقابلة المفتوحة والتي تم توجيهها إلى مشرفي ووسطاء المجموعات الفيسبوكية محل الدراسة، بغية معرفة إلى أي مدى تستجيب هذه المجموعات الفيسبوكية للحراك الافتراضي السوي، وإلى أي مدى تعد هذه المجموعات الفيسبوكية فضاءا مفتوحا ومرنا لبروز الموضوعات التي تهم النساء .

وضمن هذا السياق تعد المقابلة أداة مثالية نظرا لمحدودية عدد المستهدفين بالمقابلة، حيث تحقق المقابلة تواصلًا مباشرًا فعالًا بين الباحث والمبحوث وتتيح اقتراب الباحث من المعطيات الميدانية بصورة حقيقية

وفعالية، وبالنسبة لدليل المقابلة فقد احتوى على مجموعة من المحاور التي ضمت مجموعة من الأسئلة الاستجوابية المفتوحة، والتي انبثقت من المحكات المعيارية المتبناة واستجابت لطبيعة الموضوع الاشكالي للدراسة، ولغايات البحث وأهدافه وأولوياته.

المحور الثالث: محور المجموعة الفيسبوكية كمساحة نقدية.

5. مجتمع الدراسة والعينة:

يعرف مجتمع الدراسة بأنه مجموعة من الظواهر أو العناصر أو الافراد أو الحالات التي تجرى عليها عملية البحث، ويحوى مجتمع الدراسة جملة من المكونات التي لها علاقة مباشرة بمشكلة البحث، والتي يسعى الباحث إلى فهم وتفسير ووصف الظاهرة المراد دراستها ويتمثل مجتمع دراستنا في المجموعات الفيسبوكية النسائية بما تشمله من أعضاء ومشرفين.

وفي سياق دراستنا بعد تحديد مشكل الدراسة انتهجنا أسلوب المعاينة الغير احتمالية حيث يتم وفق هذا الأسلوب اختيار مفردات من مجتمع البحث بطريقة قصدية وفقاً لشروط ومعايير محددة، إذ لا تحظى جميع مفردات مجتمع البحث بنفس فرص الاختيار، وتماشياً مع هذا الأسلوب قمنا بانتقاء عينة قصدية من المجموعات الفيسبوكية النسائية، وعلى هذا الأساس تمت عملية اختيار المجموعات الفيسبوكية التي شملتها الدراسة على أساس ثلاثة معايير:

- عدد الأعضاء؛
- عدد المنشورات في اليوم الواحد؛
- تاريخ انشاء المجموعة.

وفي عملية البحث عن هذا النمط من المجموعات، استخدمنا محرك بحث الفيسبوك، والذي يستعمل خوارزميات جد متقدمة تتيح البحث بصورة دقيقة عن المنشورات والملفات الشخصية والفيديوهات والصور التي تحتويها قواعد البيانات شبكة الفيسبوك حيث تم ترتيب نتائج البحث (الفيسبوك) ترتيباً تنازلياً وفقاً لعدد الاعجابات، وعدد التعليقات التي تحصل عليها المحتوى المبحوث عنه وبعد عملية البحث توصلنا إلى انتقاء أربع مجموعات فايسبوكية.

6. ما هو الجدار الافتراضي:

يطالعنا سؤال، ما هو الجدار الافتراضي؟ بالنظر إلى التراث المعرفي حول الكتابة على الجدار فهي كانت ترتبط أساساً بالجدار الإسمنتي وهذا ما يميز الجرافيتا التقليدية (الكتابات الجدارية) لكن ما فرضه التغير السوسيو-ثقافي من جهة والعولمة من جهة أخرى، قد ولد لنا شكل جديد ومستحدث للكتابة على الجدران وهو ما يسمى بالجرافيتا الإلكترونية أو الكتابة على الجدار الافتراضي (مواقع التواصل الاجتماعي).

كيف يمكن الحديث عن جدار افتراضي؟ خاصة أن الجدار المعتاد الكتابة فيه هو الجدار الإسمنتي وبمعنى آخر الجدار الإسمنتي هو الحامل للمعنى والغرافيتيا في حد ذاتها مرتبطة بخطاب الجدار (الإسمنتي).

الإجابة على السؤال التالي تكمن في التعالق الواضح والجلي بين الجدارين الإسمنتي والافتراضي لا من حيث لا من حيث الهياكل المادية وإنما والافتراضي من حيث وظائف الاتصال والكلام ونستطيع أن نزعم بأن كل وظائف الجدار الإسمنتي توفرها الشبكات الاجتماعية وعلى رأسها الفايبروك سواء تعلق الأمر بالحياة الشخصية والجنسية والحياة الاجتماعية والحياة السياسية الاقتصادية... لقد كان الجدار الإسمنتي يقوم بها، فلقد والافتراضي كان يتلقى الاحتجاجات واللغات والمطالب وكل الهويات والحساسيات السياسية والجنسية والاجتماعية ولعل كل هذه الوظائف قد انتقلت الى العالم الافتراضي وهذا لا يعني أن الفضاء الافتراضي اتي بوظائف جديدة في الكلام والتواصل، إنه غرافيتيا الكترونية بامتياز على جدار الفايبروك تضاف وظائف أخرى وظيفة الإعلان ووظيفة إلغاء الصمت؛ وهذه الأخيرة صلب العملية الفايبروكية ولنتذكر السبب الرئيسي لنزول الفايبروك قبل شغلة الناس.

إن مواقع التواصل الاجتماعي ما هو إلا تطور تصاعدي في حامل الجدار من اسمنتي الى إلكتروني مع العلم أن كل الوظائف كان يقوم بها الإنسان على مستوى الجدار الإسمنتي بدء من تخليد اسمه إلى التعبير عن حبه إلى البوح عن مشاكله واليوم عن رغباته ومكنوناته إلى كتابة سيرة ذاته كما فعل الكاتب الغرافيتاوي الشهير ريتسيف دولابروتون الذي ترك 250 مجلد من الكتابة وتحديدا في جزيرة سان لوي (شارك، الغرافيتيا والثورات، 2013، الصفحات 141-142) على هذا الأساس تكون مقارنة خطاب الجدار الإسمنتي بالجدار الافتراضي صحيحة و مؤكدة لتشابه الخصائص من جهة وتشابه الحامل الجداري (الإسمنتي- الافتراضي) باختصار فعلى الصعيد الجوهري فإن الجوهر واحد في الغرافيتي التقليدية والغرافيتي الإلكترونية

بعد ما قاربنا في طرحنا هذا بين خطاب الجدار الافتراضي وخطاب الجدار الإسمنتي من أجل إثبات أن خطاب المواقع الاجتماعية يدخل في سياق توصيف الخطاب الغرافيتي وأن الجدار الافتراضي لا يختلف عن الجدار الإلكتروني من حيث الوظيفة والجوهر رغم الاختلاف من حيث البنية المادية، أي أن خطاب الجدار الافتراضي عبارة عن تطور تصاعدي لخطاب الجدار الإسمنتي. هنا السؤال يطرح نفسه إلى أي مدى ساهم خطاب الجدار الافتراضي في الثورات؟ وهل هناك خصائص ومميزات جديدة؟

نعلم أن خطاب الغرافيتيا التقليدية ارتبط في التاريخ البشرية بالحراك والثورة فهل أضافت الغرافيتيا الإلكترونية دفعة جديدة في نوعها لهذه الثورات والحراك؟ " يحتل خطاب الغرافيتيا حصة الأسد في

الثورات التأسيسية، سوى على صعيد التواصل الإلكتروني في الفضاء الافتراضي، في مرحلة الحشد والتعبئة والتجنيد للفوران والاحتجاج أو على صعيد التواصل الجماهيري في الواقع" (شارك، 2013، صفحة 141). فقد شرعن المجتمع لخطاب الغرافيتيا وجعله مرتبط ارتباطاً أساسياً بخطابات الثورة والتغيير وما ميز خطاب الجدار الافتراضي هو المجهولية من خلال الكتابة بحساب على مواقع التواصل الاجتماعي تحت هوية افتراضية مزيفة، حيث نجد الفرد يكتب على مواقع التواصل الاجتماعي ويعبر عن ما يدور في ذهنه من تطلعاته ورغباته ومشاكله انطلاقاً من إيديولوجية معينة وتوجه معين، فإذا كانت الكتابة على الجدار الإسمتي أهم ما يميزها هي الحفاظ على مجهولية الغرافار، فالكتابة على الجدار لم تحافظ على مجهولية الغرافار إلا من خلال هويات إلكترونية مزيفة.

7. الغرافيتيا النسوية

الغرافيتي النسوية من بين أهم الممارسات الثقافية المستحدثة في المجتمع الجزائري وهذه الأخيرة تعد نتيجة للتغير الثقافي الحاصل، ففي الماضي وإلى وقت قريب لم يكن متاحاً للمرأة الممارسة الغرافيتية والتعبير عن آرائها بأريحية باعتبار أن المجتمع الجزائري مجتمع ذكوري بحت، فتقسيم العمل القسري في المجتمع القائم على أساس الجندر حد من الممارسات التي تستطيع المرأة القيام بها، فتم حصر أدوارها في أداء الواجبات المنزلية فقط ما ولد فيها غضباً وسخطاً على الوضعية التي تعيش فيها، فوجدت المرأة في هذا المجال حقلاً خصباً لنقل جل أفكارها ومعتقداتها وحتى مكبوتاتها بدون الكشف عن هويتها، وبناء على ذلك فإن الغرافيتي النسوية ما هي إلا ممارسة ثقافية تعكس الواقع الذي تعيشه المرأة والذي يختلف عن الواقع الذكوري لذلك نجد اختلافاً بين الغرافيتي الذكوري والغرافيتي النسوية.

إن الاختلاف بين الجنسين في ممارسة الغرافيتي عائد إلى المكانة والأدوار الاجتماعية والعلاقة القائمة بينهما، إذ يتم مقارنة الغرافيتي في فضاءات خاصة تيسر ذلك على نحو المراحيض التي تفصل فصلاً فيزيقياً بين الأفراد على أساس النوع (ذكور، إناث)، إذ بإمكاننا ترصد وتحليل وفهم الأثر الغرافيتي من خلال ما أستخدم عليه بـ غرافيتي المراحيض أو لاتريناليا كما يسميها ألان دنديز بالتركيز على مبدأ النوع دون حاملاتها، حيث تمكن كل من "جين كيلسو وبرونر إدوارد" (1980) من إحصاء ثلة من الدراسات الكمية حول الظاهرة، واستخلصا بأن هناك اختلافات وتباينات ترتكز على متغير النوع (الجندر)، ومنه التباين بين الغرافيتيا الذكورية والغرافيتيا الأنثوية، كما استنتج الباحث "أنج ليوندي" بعض أوجه التباين بين الغرافيتيا النسائية والغرافيتيا الرجالية، حيث تتصف الأولى بمضمونها المحتشم والعاطفي الحساس أما الثانية فتميزت بالفحش والسماجة والعدوانية. (باي، 2015، صفحة 104)

وفي ظل العولمة والانتشار الواسع في استخدام الانترنت وظهور مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت ممارسة الغرافيتي أسهل للمرأة، فانتقال الغرافيتي من الجدار الاسمتي إلى الجدار الافتراضي

كان نقلة نوعية بالنسبة لها فسهولة الولوج إلى هذه الفضاءات منحها حيزاً أوسع للتعبير عن آرائها والكشف عن الكثير من الخبايا والمواقف التي تتعرض لها في حياتها اليومية داخل جماعتها، فضلاً على ابداء آرائها في جميع المجالات سواء الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها، فتتوعد واختلقت الخطابات التي تقوم بنشرها عبر هذا الجدار الافتراضي مع إمكانية إيصال رسائلها إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص وهذا ما سنتطرق إليه من خلال باقي طرحنا.

من خلال حيثيات الميدان اتضح أن أكثر المواضيع تتاولا في الغرافيتيا النسوية الافتراضية هي الحراك أو الثورة النسوية هي تلك المواضيع المتعلقة بحقوق المرأة، فنجد أن هذه الجداريات انطلقت من الحركة النسوية والتي تبنت موقف: أن النساء تعاني الاضطهاد والظلم وعدم المساواة بينها وبين الرجل إذ تمنح الأولوية له في جميع المجالات، ولذلك تطالب الحركة النسوية بالنهوض بحقوق وحرية ممارسة المرأة ما يحق لها دون التمييز الذكوري في قراراتها من أجل ضمان حياة كريمة، وتحدي مبدأ الرجال كجماعة قادة لجماعة الإناث تحت ما يطلق عليه بالنسوية.

إن مصطلح النسوية معناه المرأة والجنس الأنثوي، ويقال إن مصطلح النسوية دخل إلى اللغة الفرنسية لأول مرة سنة 1837م، وذلك في مقالة بعنوان: الرجل والمرأة حيث أستعمل هذا المصطلح لوصف النساء اللواتي يتصرفن بطريقة ذكورية، في حين استخدام هذا المصطلح يختلف عن تاريخ ظهور النسوية، لأن مصطلح النسوية استخدم بعد مدة من بدء اعتراض النساء، لأن امتداد تاريخ النسوية عبر خط زمني طويل من جهة والتنوع من جهة أخرى أدى إلى صعوبة في تقديم تعريف واحد، حيث يمكن تعريف الأنشطة النسوية منذ البداية إلى سنة 1920م كحركة أو كنهضة اجتماعية، وأما منذ سنة 1970 وما بعدها، فدخل طرحها في نطاق النظرية والثقافة، ف اتخذت النظرية النسوية لون ونمط النظرية الاجتماعية وبمعزل عن ليندرج هذه الاختلافات فإن جوهر والمحور المشترك الذي يمكن ملاحظته في التيارات النسوية عبارة عن الاعتراض على ما يسمى التمييز ضد المرأة والسعي لتحسين أوضاعها (رودكر، 2019، الصفحات 14-17) بذلك تكون الحركة النسوية قد رسخت مبدأ في المخيال الاجتماعي بأن منزلة المرأة متدنية مقارنة بمنزلة الرجل كون الافضلية داما هو النموذج الرجال وكل ما اقتربت المرأة من النموذج الرجالي اقتربت أكثر من الكمال. وفيما يلي نماذج للغرافيتي النسوية الافتراضية المكتوبة والمرسومة:

الصورة رقم (01): شعار النسوية، المصدر: موقع أنستاغرام



الصورة رقم (02): صورة توضح مبدأ النسوية، المصدر: موقع الفايسبوك



الصورة رقم (03): توضيح وحدة غرافيتية تمجد أفكار أهم رواد الحركة النسوية الحديثة " نوال

السعداوي"، المصدر: موقع الفايسبوك



تشهد الجزائر حضور هذه الحركة بكثرة خاصة في السنوات الأخيرة تزامناً مع انتشار استعمال مواقع التواصل الاجتماعي وكذلك الخطابات النسوية في الساحة السياسية وخروجهن في مظاهرات للمطالبة بحقوقهن، وعلى سبيل المثال المسيرة التي نظمتها مجموعة من النسوة سنة 2018 في " صابلات في الجزائر العاصمة" لممارسة الرياضة كرد فعل على حادثة الاعتداء التي تعرضت لها فتاة كانت تمارس الرياضة ليقول لها المعتدي عليها "أن مكانها في الكوزينة (المطبخ)"، وقد أطلقت إحدى المشاركات والمدعوة بأميرة بوارى شعار "بلاستي وين نحب ماشي في الكوزينة" ليصبح أحد أهم الشعارات المتداولة اليوم في الجدار الافتراضي.

8. أبستمولوجيا الفضاء العمومي النسوي الهامشي

رافق انتشار العولمة الرقمية والميديا الجديدة أواخر القرن الماضي؛ بروز ظواهر اجتماعية وثقافية جديدة لدى الأفراد والمجتمعات في مختلف مناطق العالم، وتمكنت الفئات الاجتماعية المختلفة من خلال الميديا الجديدة من كسر نطاق احتكار الفضاء العمومي من قبل وسائط الإعلام التقليدية، وأسست لها بالمقابل فضاءات افتراضية عبرت عن طموحاتها ورغباتها واحتياجاتها ومطالبها المختلفة وهوياتها الفردية والجمعية، كما أن المنطقة العربية استفادت كثيراً من تلك الحالة، خصوصاً وأن وسائط الإعلام التقليدية كانت تحتكر الرسالة الإعلامية والثقافية، وتعيد إنتاجها ضمن وجهة نظر أحادية تعبر عن مصالح فئات سلطوية محددة.

استطاعت النخب والفئات المهمشة - ومنها النساء - في المنطقة العربية استغلال الثورة الرقمية وبناء فضاءات عمومية خاصة على شبكة الإنترنت، تلك الفضاءات جاءت لتعبر عن تفاعلاتها وحركتها الاجتماعية والسياسية، وكانت المرأة العربية جزءا من تلك الفئات التي وجدت لها في الفضاء الافتراضي موقعا لبناء هويتها وإثبات ذاتها والتعبير عن مكنوناتها وتحقيق تقدمها وسط مجتمعات تقليدية كانت تمارس الإكراهات الاجتماعية عليها باستمرار.

تمكنت المرأة الجزائرية من الانطلاق في الفضاء الافتراضي والبدء بتأسيس فضاءات افتراضية عمومية خاصة بالنساء، فقد حرمت المرأة في مجتمعاتنا التقليدية من تشكيل فضاءات واقعية كالمقاهي والصالونات الثقافية والاجتماعية والتي كان يحظى بها فئات الذكور وضمن نطاقات ضيقة وصيغ اجتماعية وترفيهية ووظيفية لا أكثر، فالمرأة الجزائرية حققت قفزة استثنائية في تأسيس فضاءاتها العمومية الافتراضية وهو أشبه ما يكون بحرق المراحل، غير أن تلك الفضاءات لا زالت في بدايات تشكلها نظرا لقلّة الخبرة التقنية والفكرية، وضحالة التجربة الجماعية والفردية، ونتيجة لإقصائها عن المجالات السياسية والاجتماعية، وعدم مشاركتها في الحوارات والنقاشات ذات الشأن العام، إلى جانب حداثة العهد بالميديا الجديدة.

من خلال رصد نماذج كثيرة لصفحات افتراضية ومدونات وقروبات على مواقع الشبكات الاجتماعية ومن خلال عينات قصدية، فإننا نلاحظ تواجدا كثيفا للمرأة الجزائرية على الفضاء الافتراضي ولكن هذا التواجد يتميز بالتناقض والتناحر، وغياب العقلانية في الطرح والتركيز على الذات والإشهار والانشغال بالقضايا الهامشية تحديدا، لكن هذه المرحلة تشي بتطور ما في تلك الفضاءات مرتبط بالظروف والعوامل المؤثرة في واقع المرأة الاجتماعي والثقافي والإنساني، ولا يمنعنا هذا الحكم من الإشارة إلى عدد من النساء المثقفات اللاتي شكلن حالة متقدمة لوعي المرأة الجزائرية وإثبات ذاتها من خلال المشاركة في قضايا الشأن العام بمختلف جوانبه ومنها قضايا المرأة المختلفة والإشكاليات القانونية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تواجهها.

تميزت نشاطات المرأة الجزائرية على الفضاء الافتراضي بعدة ميزات أبرزها؛ الاهتمام بكشف الذات وتشكيل الهوية وبناء شبكة تواصل مع الآخرين، طرح معاناتها ومشكلاتها والبوح بمكبوتاتها سواء من خلال أسماء صريحة أو مستعارة، الاهتمام بالقضايا المنزلية والترفيهية والاجتماعية بالدرجة الأولى، الرغبة في حرية التعبير وطرح الافكار للعموم، إبراز ذاتها للآخر، والكتابة كردة فعل على الاقصاء والتهميش في المجتمع.

تنشط الهويات الافتراضية بأسماء مستعارة في سياقات اجتماعية وثقافية معينة، فيما تظهر الهويات وتتكشف في السياق والثقافات التي تمنح المرأة جانبا من الحرية كمجتمعات العاصمة وبعض المدن الكبرى.

تحاول المرأة وعبر تأسيس صفحتها الشخصية خصوصا على موقع الفيس بوك أن تعيد بناء هوية افتراضية تمكنها من تجاوز الذات الواقعية الواقعة تحت الإكراهات الأسرية والمجتمعية، وعادة ما تلجأ إلى التدوين بأسماء مستعارة خشية الرقابة الاجتماعية، وبذلك تتمكن من التعبير عن ذاتها بكل حرية وتتشكل لها هوية جديدة تستكشف من خلالها ذاتها وإمكاناتها وتستعيد ثقافتها بنفسها رغم ما تحمله الهوية الرقمية من مخاطر سيكولوجية على المرأة، فهي تعمق الفجوة بين الواقع الحقيقي والافتراضي، وتستمر عملية استكشاف وبناء الهوية ضمن سيروية ممتدة ومن خلال التواصل مع الآخر، ونستطيع القول بأن الكشف عن الذات وإعادة تشكيل الهوية بصيغة هوية رقمية هو الملمح الأبرز في تعاطي المرأة مع الفضاء الافتراضي خصوصا في المجتمعات المغلقة.

ولعل العمل على بناء واستكشاف الهوية لدى المرأة حقق إبداعات نسوية نابغة عن اكتشاف الذات والقدرات والإمكانات، غير أن تلك الإبداعات لم تغادر الإطار الفردي للمرأة، ورغم استخدام المرأة للأسماء المستعارة خلال تعبيرها عن ذاتها وواقعها فلا زالت تتعرض للوصم والإقصاء والسخرية في مجتمع ينظر إلى المرأة بشيء من السلبية والنقص.

وتنشط الهويات الافتراضية بأسماء مستعارة في سياقات اجتماعية وثقافية معينة، فيما تظهر الهويات وتتكشف في السياق والثقافات التي تمنح المرأة جانبا من الحرية كمجتمعات العاصمة عمان وبعض المدن الكبرى، وكلتا الحالتين أدت إلى تشكل هويات متميزة وبدرجات متفاوتة عبرت عن ذلك التمايز.

إن حديثنا عن تأسيس فضاء عمومي للنساء الجزائريات يحمل على عاتقه طرح القضايا الهامة المتعلقة بالمرأة وتحدياتها مثل؛ الإقصاء والتهميش، والعنف، والنظرة الدونية، وعندنا حديثنا عن تأسيس فضاء عمومي نسوي يقوم على الحوار والتواصل والتفاهم والتشارك في القضايا العامة خصوصا في الأردن لا نجد ما يؤشر إلى تأسيس مثل هذا النموذج ولعل الأسباب كثيرة نذكر منها؛ محدودية التجربة النسوية كجماعة مشتركة ضاغطة في المجتمع واختلاف الأنماط النسوية في المدن والأرياف واختلاف السياقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ولعل المدن الكبرى في الجزائر وخصوصا العاصمة تتواجد فيها مثل تلك الفضاءات ذات السقف من الحرية الاجتماعية ضمن سياق الفئات الوسطى تحديدا، لكن

الإشكال يبقى بأن تلك الفضاءات مغلقة على نفسها ومعزولة ولا تشكل حالة عامة تؤسس لشبكات تفاعلية تحمل على إصرها النهوض بقضايا المرأة وتمكينها.

إن حديثنا عن تأسيس فضاء عمومي للنساء يحمل على عاتقه طرح القضايا الهامة المتعلقة بالمرأة وتحدياتها مثل؛ الإقصاء والتهميش، والعنف، والنظرة الدونية، وضعف التمكين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والحد من حركتها الاجتماعية وحرّياتها عموماً، والسلطة الذكورية، والاستغلال والتمييز وغيرها من القضايا الملحة؛ يتطلب رؤية جديدة لإعادة تأسيس وتوجيه فضاءات عمومية في إطار عقلاني تفاعلي من خلال شبكات نسوية تفاعلية تقوم الديمقراطية الرقمية ومن خلالها يتم الخروج من الانغلاق والفردية نحو التواصلية وتحقيق طموحات المرأة وتحقيق حرياتها العامة وإثبات وجودها في المجتمع.

9. تشكل الفضاءات العمومية الهامشية:

يعتبر التصور النظري الهابرماسي حول الفضاء العمومي تصوراً دالاً ومهماً جداً لمساعدتنا على فهم الميديا ودورها في تشكيل الديمقراطية ومختلف أشكالها، كما يعتبر تنظير هابرماس للفضاء العمومي من الانتاجات الابستمولوجية والنظرية الأكثر انتظاماً وتكاملاً المتوفرة لحد الساعة في هذا المجال، حيث ينظر هابرماس للفضاء العمومي كمساحة حاضنة للأفراد الذين يدخلون في نقاشات تحت راية الانصياع لقواعد المعيارية العقلانية التواصلية، ويقومون بتبادل الأطروحات والرؤى حول الشؤون العمومية وشواغل الشأن العمومي من أجل البحث عن الصالح العام، وينتج عن هذه العملية في المحصلة تشكل الرأي العام ضمن صيرورة ديمقراطية صحية وحيوية، وبذلك يلعب الفضاء العمومي دور جوهري في توفير منبديات ومساحات لعمليات النقاش وتبادل الآراء التي تهدف إلى البناء الديمقراطي للمجتمع (Susen, 2011 , P 97).

لم ينحت هابرماس Habermas مفهوم الفضاء العمومي من فراغ، حيث سبقه تراث نظري وتراكمات اجتماعية وتاريخية، عبر عنها في مجمل الأفكار والتجريدات النظرية التي ارتكز عليها في تشييد تصوره حول مفهومه المخصوص للفضاء العمومي، وقد أشار هابرماس في مقدمة كتابه إلى أن المعاني التي يستنبطها هذا المفهوم ترجع إلى مراحل تاريخية سابقة، من قبيل المدينة الإغريقية الأثينية التي استوعبت ساحات الأغورا (Agora) فيها أولى أشكال النقاش العمومي المفتوح والديمقراطي (Habermas, 1991, P13)

واستناداً إلى هابرماس، فقد كانت إعادة ظهور الفضاء العمومي تاريخياً خلال القرن 18 في فرنسا وألمانيا وبريطانيا، حيث تجسد في فضاءات فيزيقية احتضنتها المقاهي والصالونات الأدبية والنواد

الثقافية، أين كان البرجوازيون يناقشون ويتبادلون الآراء حول المسائل الأدبية والفنية في المرحلة الأولى، بعد ذلك اكتسبت النقاشات والمطارات بعدا سياسيا واجتماعيا بعد الثورة الفرنسية (Habermas, 1991, P26)، وقد اتسم النقاش والحجاج في هذه الفضاءات الفيزيقية بالتكافؤ والعقلانية وتأسس على الاعتراف الجماعي بفضائل العقل وأفضلية التبادل القائم على الحجة بين الأفراد وتدافع الأفكار المستنيرة (Villa, 1992, PP71-72)

إن ما يتضح من المنظور الهابرماسي عن الفضاء العمومي أنه يركز على قطاعات مفتوحة في الحياة الاجتماعية للتفاعل الكلامي وتبادل الآراء، التداول الكلامي والتناظر السياسي، فهو يخلق حيز مكاني يقصده أفراد المجتمع بهدف الحوار والنقاش وإبداء الآراء مع غيرهم فيما يتعلق بالمسائل العامة بناء على حرية الرأي والتعبير، فهو أسلوب لعقلنة القوة ومنبه لحاجيات المجتمع، فالفضاء العمومي مجال حيادي ومستقل، أين تلعب وسائل الاتصال والإعلام الدور الأبرز في توفير المعلومات حول الشؤون العامة والشواغل العمومية التي تمس واقع كل أفراد المجتمع، ويعتبر ميكانيزم أو آلية وظيفية يتمثل دورها في تخفيف حدة الصراعات الاجتماعية وتسهيل التفاعلات، وواحد من أهم آليات تجسيد المواطنة واحترام الكينونات.

تميل جل الأدبيات النظرية الراهنة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى قبول أطروحة تعدد الفضاءات العمومية بالتوازي مع الفضاء العمومي المهيمن ضمن المجتمع الواحد. وفي هذا السياق ترى الباحثة الأمريكية (Fraser) أنه من غير الممكن أن يوفر فضاء عمومي واحد منصة مفسوحة ومتاحة للجماعات التابعة والهامشية، أين يكون بإمكانها تمثيل نفسها ومطالبة مسائلها والتعبير عن هويتها وخطابها وتبني إستراتيجية لإثبات وجودها، حيث أنه في الواقع الفضاء العمومي الواحد المهيمن لا يتيح لهم أي منتصفات تعبيرية أو تواصلية تسمح لهم بإسماع أصواتهم (Fraser, 1990, P123)، بينما يرى هابرماس ضمن تصوره الكلاسيكي، أ، الفضاء العمومي البرجوازي في الصيغة التي وجد بها في القرن 19 يمثل النموذج المثالي.

إلا أن منظري تيار الفضاء العمومي الهامشي يرون أن تحليل هابرماس كان ضيق الأفق، إذ أنه اعتمد بشكل شبه كلي على تحليل وتشريح الفضاء العمومي البرجوازي للتظير لظاهرة الفضاء العمومي في نسقها، حيث أنه قلل وحد من تعقد الفضاء العمومي الراهن في المجتمعات الحالية، نتيجة تركيزه على فريدة ظاهرة الفضاء العمومي البرجوازي الأحادي الدلالات، كما أهمل الراهنية السوسيولوجية والدلائل الثقافية للبدائل التعبيرية التي ظهرت كفضاءات ومساحات تفاعلية للنقاش (Susen, 2011, P58).

مما سبق يتضح لنا أن الفضاء العمومي الهابرماسي هو فضاء محدود بالطبقية وكذا بالعنصر الذكوري فقط، ويتميز بحساسيته للفروقات الاجتماعية والجنسانية وإقراره لحقيقة وجود فئة مهيمنة وفئة مهيمن عليها، عكس نظرية الفضاء العمومي الهامشي التي تقوم على تصورات واقعية تأخذ في الاعتبار الولوج المتكافئ للجميع، بالإضافة إلى إبرازها لدور الوسائط الاتصالية الجديدة في تقييم الإمكانات الديمقراطية.

وبالمحصلة يعبر ظهور الفضاءات العمومية الهامشية على ديناميكية المجموعات الاجتماعية المؤسسة لها وحيويتها ورفضها لأشكال الإقصاء والتغيب، حيث تبدأ الفئات النسوية الهامشية مسارها بمحاولة البحث عن فضاء بديل يتوفر على حرية وسهولة الولوج وكذا منصة تضمن لها تحدي خطابات الفضاء العمومي المهيمن وتبني ميكانيزمات احتجاجية رمزية واجتماعية بغية الإفلات من الصمت والقمع المعنوي. وترى Fraser أن هذه الفضاءات لا تبقى بالضرورة بمعزل عن الفضاء الاجتماعي العام، إذ أنها سرعان ما تبادر باقتحام الحلبة العمومية، ومحاولة كسب فضاءات خطابية جديدة ورفض الوصم والتمييز بشكل علني. (Dawson, 1995, P214)

وفي مسار آخر، يرى الباحث Mitra أن خطاب الفضاءات الهامشية النسوية سواء في المساحات الافتراضية أو المساحات الاجتماعية الواقعية، يستهدف بالضرورة نوعين من الجمهور، الجمهور المنتسب لهذه الفضاءات، والجمهور الخارجي الذي يقبع خارج مدار المجموعة ولكنه معني بشكل معين بنشاط هذه الفضاءات وغاياتها وإستراتيجيتها (Mitra, 2001, P31)

ومن خلال تحليل تم جمعه من خلال المقابلات التي أجريناها، وجدنا أن نسبة كبيرة من النساء اتخذنا من فضاء المجموعات الفيسبوكية ملجأ لهن، وذلك راجع لصعوبة الولوج للمرافق الاجتماعية والترفيهية والخدمات في مدنها، وذلك راجع إلى التمثل السائد في المجتمع الجزائري على أن هذه الفضاءات هي ذكورية بامتياز لا تتحرك داخل حيزها إلى هذه الفئات، وعلى أن المرأة تكتفي بفضاء المنزل على عكس الرجل، وخروج المرأة إلى الفضاءات العمومية يخلق نوع من التشنجات وتصدع في القيم الاجتماعية الذكورية. وهذا ما جعل فضاء المجموعات الفيسبوكية النسائية أحد أبرز صور تشكل الفضاءات العمومية الهامشية الافتراضية، أين تجد النساء المتنفس لإبداء آراءهن وفتح أبواب النقاش في المائل العامة التي تعتبر لوقت ما حكرا على الرجال.

10. الهوية الافتراضية النسوية داخل الفضاء العمومي الهامشي

أدى ظهور الفضاء الافتراضي (virtual space) إلى انبلاج مساحات جديدة غيرت جذريا من كيفية التفاعل وطرق تشكيل الجماعات وتشبيد الهويات وتمثيلها بالكامل (Turkle, 1996, P49). ونتيجة اتصاف الركح الافتراضي باللامركزية والمرونة وسهولة الولوج إليه، فإنه يتيح للفئات النسائية فرص

التفاعل والتشارك والتعاقد، وتأسيس تعاقدات سوسيو-ثقافية جديدة وعقد ثقافي جديد، وبذلك أضحت الأنترنت عامل الديمقراطية الأول لأنها أساسا فضاء تفاعلي يتيح إمكانيات النقاش والحوار والترابط والمشاركة الأفقية (Benamra & Habermas, 2015, PP20-40).

وبما أن الفئات النسائية غالبا ما تكون مهمشة ضمن فضاءات البروز داخل المجتمع (spaces of visibility)، فإن كياناتها الرمزية وهوياتها تكون بالضرورة مهمشة ومقصاه (marginal identities)، ولذلك هي بحاجة لحس الانتماء (sens of belonging) والتشارك والتفاعل مع هويات أخرى متماثلة، وباجة إلى فضاءات جديدة وبديلة للتفيس والتعبير. وضمن هذا السياق بالذات خلقت الأنترنت فرصا غير مسبقة وسنحت لهن بالظهور والبروز والحراك دون التوجس أو الخوف من الوصم (stigmatization) أو العنف الرمزي (symbolic violence) أو الإقصاء وهي أشكال تسود سياقات الحياة الاجتماعية. (Friedman, 2007, P791)

إن هذا اللجوء النسوي للفضاءات الافتراضية هو في حد ذاته هروب من الواقع المعاش المرتكز على النظرة والهيمنة الذكورية على الفضاء العمومي الفيزيقي، حيث يصبح هذا اللجوء آلية للبحث عن هوية افتراضية تختلف مكانتها عن مكانة الهوية الفيزيقية، وهذا أثبتته غالبية المقابلات التي أجريت مع أعضاء المجموعات الفيسبوكية، حيث تخبرنا الأنسة (ليلى، س. 23 سنة) >> أنا متخرجة ماستر علوم سياسية وما عنديش المكان اللي نقدر نتكلم فيه على السياسة غير الفيسبوك، لخاطر دارنا (أهلها) مستحيل يخلوني نمارس ولا نتكلم في السياسة في المجتمع<<. إن ما ذهب لـ الأنسة "ليلى" هو وجه من وجوه الهيمنة الذكورية على المرأة، حيث تمنع المرأة من إبداء رأيها أو مناقشة الآراء والأفكار حول مواضيع الشأن العام، على أساس أنها حكر على الرجل فقط.

ومن الصور الأخرى لواقع الهروب النسوي نحو خلق انتماء هويتي افتراضي انتبهنا إلى تفصيل مهم ألا وهو استخدام أغلب النساء موضع الدراسة لأسماء وصور مستعارة، وحينما طرحنا السؤال حول السبب وجدنا أنهن يخفين حقيقتهم لتفادي الوقوع تحت وطأة السلطة القهرية القيمية لمجتمعهم، حيث تقول الطالبة (خولة، ب. 19 سنة) >>أنا خويا خلاني نقرا في الجامعة بالذراع، وكون يسمع عندي فايسبوك يقتلني<<، وتضيف السيدة (س، ر. 33 سنة)>> أنا متزوجة وراجلي واعر، مستحيل نقدر نكتب اسمي الحقيقي ولا صورتني، لخاطر راك عارف في مجتمعنا القيل والقال ما خلاش..هاي مرت فلان حالة فايسبوك..راو علق عندها واحد ما نعرف شكون هو.. وهاو.. وهاو.. يا خويا هكا وما سلمناش<<.

بالرغم من أن هناك من أفراد العينة من لهن صفحات فايسبوك بأسمائهن وصورهن، إلا أنهن يمثلنا نسبة قليلة، بالإضافة إلى معاناتهن الدائمة والمتواصلة من المضايقات الإلكترونية على فضاء الفاييسبوك، خاصة صغار السن منهن، وهذا ما جعلهن يصارحننا أنهن مع عدم كشف الاسم أو الصورة الشخصية في صفحات الفاييسبوك، لما له من ضغوطات على واقعهن الفيزيقي (نقاط التماس بين الواقع الفيزيقي والواقع الافتراضي).

مما سبق ذكره اتضح لنا أن الفضاء العمومي الافتراضي الهامشي المتمثل في دراستنا هذه في المجموعات الفيسبوكية، خلقت ما يعرف بالهوية الافتراضية لدى النساء المنتمين إليها، حيث وجدن متنفسهن ومكانتهن والحيز الذي يسمح لهن فيه بإبداء الرأي وفتح أبواب النقاش بكل حرية وديمقراطية، مما خلق نوعا من التعويض عما هو معاش في الفضاء الفيزيقي لهن، الذي يعاني من السيطرة والهيمنة الرمزية والاجتماعية.

تعتبر الفضاءات العمومية الافتراضية الهامشية النسوية صورة من صور التغير الاجتماعي والقيمي والثقافي في زمن العولمة، والتي تتمظهر في طبيعة التحولات المتسارعة التي مست الهوية الفردية والجماعية، هذه العولمة تعمل على تفكيك الهوية المحلية ذات الخصوصيات المجالية والثقافية والدينية والتي لها قيمها الخاصة، وإعادة تشكيل هوية جديدة تصنع في اللامكان وفي اللواقع حيث تتم صناعتها وبناءها في الفضاءات الافتراضية وشبكات التواصل وفي مجالات الانترنت.

11. شبكات التواصل الاجتماعي والفضاءات العمومية الهامشية:

أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينات من القرن الماضي، نقلة نوعية في عالم الاتصال، الأمر الذي جعل أفراد المجتمع (كبار وصغار) يعيشون في ظل عالم تقني ومجتمع افتراضي سيطر على أكثر اهتماماتهم واستنزف الكثير من أوقاتهم، ومن بين أبرز تلك الاهتمامات التواصل الاجتماعي الذي توفر لهم عن طريق شبكات تواصل اجتماعية على الانترنت، وكان لهذا العالم أثره الكبير على الهوية الاجتماعية والوطنية وعلى الترابط الاجتماعي داخل المجتمع الواحد، فأصبح الإنسان اليوم يعد مجتمعه الافتراضي من ضمن اهتماماته وربما طغى على الجانب الاجتماعي الواقعي (بن كران، 2015، صفحة 155).

عند مقارنة إشكالية تأثير شبكات التواصل الاجتماعي و إسهامها في انبلاج الفضاءات العمومية الهامشية النسائية، فإنه ينبغي الأخذ في الاعتبار العديد من المسائل النظرية و المنهجية، و على رأسها النقاش الدائر بين تيارين أساسين، التيار المحنفي بالوسائل الاتصالية الجديدة وترتيباتها الجديدة كأداة جديدة للتغيير الثقافي والاجتماعي بكيفية ديمقراطية ، و بين التيار المتوجس الذي لا يُعول كثيرا على العامل التكنولوجي في سيرورة التغير الاجتماعي و الثقافي، وقد انعكس هذا التقاطب النظري و

الابستيمولوجي على دور الوسائط الاتصالية الجديدة بشكل عام في استنبات فضاءات عمومية جديدة، إذ أنه مع كل ظهور لوسيط اتصالي و ميديائي جديد، يتجدد الإستشكال حول مدى قدرته على استيلاد فضاء عمومي جديد، ويرى الباحث Sholle في هذا السياق، أن وسائط الاتصال الجديدة تقود بالضرورة إلى ظهور فضاء عمومي جديد (Sholle, 1995, PP21-35)

وفي دراستنا لبعض المجموعات الفيسبوكية كإحدى أبرز شبكات التواصل الاجتماعي، تخبرنا الأنسة (عبير، الورد) (اسم مستعار) >> في الفيسبوك ماكنش راجل ومرا، كاين الفكر والرأي واللي عندو رأي يقولوا بكل حرية<<، في هذا السياق من الحديث تبرز لنا معالم استحسان وجود الوسائط الاتصالية الجديدة التي فعلت آلية التغيير الثقافي والاجتماعي وخلقت فضاء عام مبني على الديمقراطية والحدثة، إلا أن كلام الأنسة (أنابيل) (اسم مستعار) كان له اتجاه آخر يمكن أن نقول عنه شبه مخالف للرأي الأول، حيث قالت >>بصراحة كي تشوف فعاليل بعض البنات ومنشوراتهم في الجروبات تقول كون قعدنا نعيشو على الشمع ولا ها التكنولوجيا اللي عرت الديار وخت النساء تنفرعن (من فرعون)... الوقت اللي ولت النساء ما تحشمش وتدير لايف من بيت النوم ولبسة النوم، نقولوا ربي يلطف بينا وخلص...<<.

لقد ساهمت المجموعات الفيسبوكية النسائية على خلق فضاء عمومي هامشي كان ملجأ للكثير من النساء، هروب من الهيمنة الرمزية والاجتماعية عليهن، وكما كانت لها إيجابيات في خلق بيئة تتسم بالديمقراطية وتتجلى فيها صور الحوار والنقاش وتبادل المعلومات والآراء، إلا أن مجموع المعطيات التي تم استنباطها أمبريقيا تشير إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي والتي من بينها الفيسبوك، ساهمت في حدوث تغير اجتماعي وثقافي يتعارض والقيم الاجتماعي والبناء الثقافي للمجتمع الفيزيقي، مما خلق نوع من التماس بين الفضاء الواقعي والفضاء الافتراضي، وهذا ما لاحظناه من كلام الأنسة (مروى، ق. 28 سنة) (آدمن صفحة فحلات الشريعة) حيث قالت: >>...أي منشور فيه كلام ولا صور ولا فيديوهات خايبة وإلا تقيس الدين وإلا القيم تاع بلادنا نسييريموه ومولاتو نخرجوها من المجموعة... موش لأننا في الفيسبوك نقلو الرباية، ونعودو نخلطو وخلص... <<، ان ما لامسناه من كلام الأنسة (مروى) هو أن بناءها القيمي والثقافي في الفضاء الواقعي انتقل وحافظ على شكله العام في الفضاء الافتراضي، على الرغم كون الفضاء الافتراضي "بمثابة المورد الرمزي الضروري لتشكيل الرأسمال الاجتماعي لمختلف الفئات الاجتماعية التي كانت محرومة من الظهور في الفضاء العمومي المهيمن، إذ يسمح الفضاء العمومي البديل بتكوين شبكة اجتماعية من العلائق والروابط الاجتماعية بين الأفراد المهمشين، ويتيح

لهم التأسيس لقواعد متينة للفعل الرمزي الاحتجاجي وإنتاج الخطابات النقدية المضادة" , (O'Donnell , 2001, P58).

12. خاتمة:

رغم أن الجدار الافتراضي شكل فضاء عام هامشي للمرأة كي تكسر حاجز الهيمنة الذكورية وتطلق حركة أشبه بثورة للتعبير عن أفكارهم والدفاع عن مبادئ الحراك لتغيير وضع المرأة التي تعيش تحت ضوابط وقيود اجتماعية وثقافية. حقا تمكنت المرأة أن توصل خطاباتها عبر الفضاء الافتراضي الذي يمتلك سلطة في التأثير على الرأي العام وعلى ذهنية الأفراد بل وحتى المخيال الاجتماعي، لكن السؤال يبقى مطروح هل وجدت هذه الخطابات تطبيقا على أرض الواقع وغيرت حقا من وضع المرأة وحقق هذا الحراك أهدافها؟

13. قائمة المراجع:

- أحمد شراك. (2013). الغرافيتيا والثورات. مجلة كلية الداب والعلوم الإنسانية (19)، 141-173.
- بوعلام باي. (2015). ظاهرة الممارسة الغرافيتية وإشكالية المقاربات المنهجية: محاولة رصد أبرز المقاربات المعتمد، 4 (02)، ص 104. مجلة الحوار الثقافي، 4 (2)، 103-108.
- سلمان بكر بن كران. (2015). الاتصال الجماهيري والخدمة الاجتماعية ووسائل التواصل الاجتماعي . عمان: دار الزاوية للنشر والتوزيع.
- عزيز إبراهيم مجدي . (2000). موسوعة المناهج التربوية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عليان ، م & ، غنيم ، م . (2008). أساليب البحث العلمي الأسس النظرية والتطبيقية العملية . دار صفاء للنشر والتوزيع.
- نرجس رودكر. (2019). فيمينيزم الحركة النسوية مفهومها أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية . بيروت-لبنان: دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.
- Turkle, S. (1996). *Life on the Screen: Identity in the Age of the Internet*. London: Weidenfeld & Nicholson.
- Villa, D. (1992). Postmodernism and the public sphere. *American Political Science Review*, 86(3).
- Benamra , B., & Habermas, G. (2015). A Post-Habermasian Approach into The Subaltern Public Sphere in The Digital era. *the International Journal of Social and Human Sciences*, 1(10).

- Dawson, M. (1995). *A Black counterpublic? Economic earthquakes, racial agenda(s) and Blackpolitics*, In *Black Public Sphere Collective* (Eds.). *The Black public sphere*. Chicago: University of Chicago Press.
- Fraser, N. (1990). *Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy*, *Social Text*.
- Friedman, E. (2007). *Lesbians in (Cyber) space The politics of the internet in Latin American on- and offline communities*, . *Media Culture & Society*.
- Habermas, J. (1991). *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry Into a Category of Bourgeois Society*. Cambridge: Polity.
- Mitra, A. (2001). *Marginal voices in cyberspace*, *New media & society*. *SAGE*, 3(1).
- O'Donnell , S. (2001). *Analysing the Internet and the Public Sphere: The Case of Womenslink*,8(1).2001. *Javnost - The Public*, 8(1).
- Sholle, D. (1995). *Access Through Activism: Extending the Ideas of Negt and Kluge to American Alternative Media Practice*. *Javnost - The Public*, 4(2).
- Susen, S. (2011). *Critical Notes on Habermas's Theory of the Public Sphere*. *Sociological Analysis*, 5(1).